

الواقعي والتخييلي في النص السردي والنص الموازي في رواية "زوينة" للكاتب محمد جبريل
The interplay between reality and fiction in the narrative and parallel texts of Mohammed Jabril's novel « Zouina »

صالح مفقودة¹

1- مخبر أبحاث في اللغة والأدب الجزائري - جامعة بسكرة ، الجزائر/ adab_arabi@yahoo.fr

تاريخ الاستلام : 2024 /09/15 تاريخ القبول: 2024/10/31 تاريخ النشر: 2024/12/31

Abstract: This paper examines Mohammed Jibril's novel "Zouina" as a narrative text that belongs to the genre of travel literature. The novel features a dual protagonist: the narrator, an Egyptian expatriate working in Muscat, and Zouina, an Omani woman forcibly relocated from Zanzibar with her family. The narrative seamlessly blends factual descriptions with fictional elements, employing parallel texts to create a rich and layered narrative. While the novel offers a vivid portrayal of Muscat, this depiction is filtered through the lens of aesthetic considerations intrinsic to storytelling and the narrator's subjective emotional state. The narrative is meticulously constructed and enhanced through the technique of parallel texts

Keywords: parallel text, narrative, fiction, novel

-المخلص: سنتناول في هذا المقال دراسة لرواية زوينة لمحمد جبريل باعتبار هذه الرواية نصا سرديا ينتمي لأدب الرحلة، ويتقاسم البطولة في هذا العمل البطل السارد الوافد من مصر للعمل في مسقط، والبطلة زوينة الفتاة العمانية المرحلة من زنجبار مع عائلتها قسرا. في الرواية مزيج من الوصف الواقعي والتخييلي، وفيها استخدام لتقنية النص السردي والنص الموازي، وقد صور الكاتب مدينة مسقط لكن تصويره لها ظل خاضعا لأبعاد جمالية تتعلق بالسرد، ولأبعاد نفسية تتعلق بالحالة الشعورية للسارد في إطار تقنية سردية بالغة الإحكام مشفوعة بتقنية النص الموازي .

-الكلمات المفتاحية: النص الموازي، السرد، التخييلي، الرواية

المؤلف المرسل: صالح مفقودة

الاميل: adab_arabi@yahoo.fr

أولاً- رواية زوينة وأدب الرحلة:

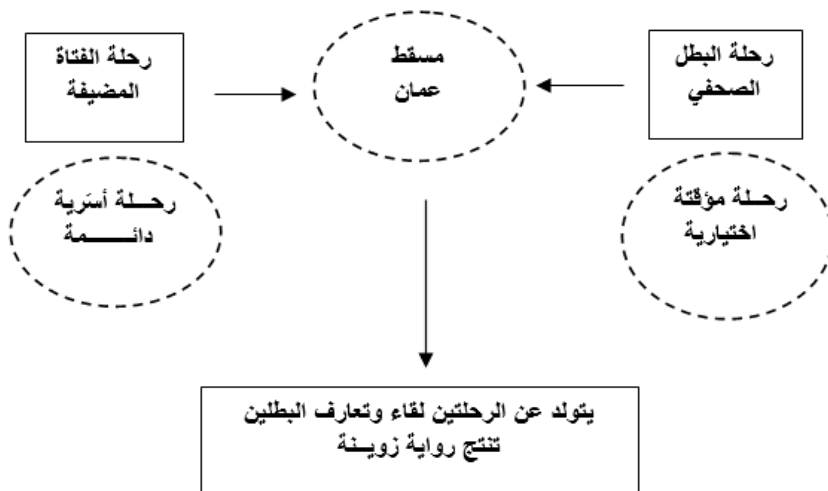
رواية زوينة للكاتب محمد جبريل هي رحلة يقوم بها البطل السارد من القاهرة نحو مسقط عاصمة عمان، ويقتسم بطولة الرواية مع فتاة هي بدورها قادتها رحلة من زنجبار إلى مسقط، غير أنّ رحلة البطل رحلة مؤقتة، هدفها العمل بإصدار جريدة هناك، وتنتهي الرحلة بالعودة إلى القاهرة، لكن رحلة الفتاة إجبارية، حيث أُجبرت هي وعائلتها على الفرار إلى البلد الأصل مسقط. يتمثل سبب رحلة البطل إلى مسقط إذن في العوز المادي، الذي يجعله مضطراً لترك القاهرة، والأمر لا يتعلق بالبطل الصحفي فحسب، بل يتعلق بكثير من الوافدين خاصة من آسيا، وقد اتخذ لذلك السائق الهندي، أما المصريون فهم كثر في المنطقة، لاهدف لهم سوى جمع المال كما هو الشأن بالنسبة لبطل الرواية، هذا هو مبرر المغادرة، ولا يهدف البطل إلى الثراء بقدر ما يهدف إلى توفير الأمور الضرورية، يقول: « لم يكن حلم الثراء هو دافعي للسفر، وربما لو أنني كنت قد عثرتُ على شقّةٍ، وأفلحت في تأثيثها، ما أعطيتُ انتباهي لقول ناصف الغمري تفكّر في السفر؟ » (جبريل، 2004، صفحة 24) وإذن فالحالة المادية للبطل الصحفي لا تفي بحاجاته، ولا تسمح له بتدبر أمور الزواج، ولذلك كان هاجسه حلّ هذا المشكل، رغم تحفظ خطيبته مَهّا على ابتعاد خطيبها قالتْ له: « هل السفر هو ما يجب أن يفعله كل المُقَدِّمين على الزواج » (جبريل، 2004، صفحة 26) وبدا أنّ هذا الصحفي الشاب غير مُقتنع بما يتقاضاه، قال: « ما نتقاضاه نُنفقه قبل أن يحل الشهر الجديد » (جبريل، 2004، صفحة 26) أمام هذا الوضع المادي الصّعب، كان على البطل أن يُغادر القاهرة، شأنه في ذلك شأن كثير من المصريين الذين يتوجهون إلى الخليج العربي للعمل، وقد وجد هذا الصحفي الفرصة عن طريق العرض الذي قدمه "ناصف الغمري" للعمل في سلطنة عمان، كمحرر لجريدة تُمولها شركة صحار للمقاولات في روي.

إذن لهذه الأسباب المادية يغادر البطل السارد أرضه المحبوبة مصر، ويفارق خطيبته مَهّا، وأسرته المكونة من الوالدين وخالد وباسم وعفاف الصغيرة، كما يُفارق بطبيعة الحال الصحيفة التي يعمل بها، ويفارق الزملاء والأصدقاء، ليجد نفسه لدى وكيل هو النّبّهاني، في بلدٍ يختلف عن القاهرة في جَوِّه وعلاقاته، فيعيش حياةً صعبة، تميّزها الوحْدة والزّتابة والملل، ولكن يُصادف أن يلتقي بفتاة زنجبارية عمانية، تشتغل مضيّفة أرضية في طيران الخليج.

الواقعي والتخييلي في النص السردي والنص الموازي في رواية "زينة" للكاتب محمد جبريل

تحكي للبطل السارد عن الهجرة الإجبارية لأسرتها من زنجبار نحو مسقط، كما يحدثنا البطل عن عبد العال المصري الذي يعمل في الصحافة بمسقط وعن أشخاص آخرين يلتقي بهم .

نحن إذن إزاء أدب رحلة بما يتميز به هذا النوع من استكشاف وعنصر الرحلة عنصر أساس في السرد حسب شعيب حليفي الذي يعتبر أدب الرحلة رئة يتنفس منها المتخيل ، ويُجدد في الصوغ ما أمكن (حليفي، 2003، صفحة 76) ، وقد ارتبطت الرحلة ولا تزال بكل أشكال القص، ويمكن هنا أن نشير إلى الحكايات الروسية التي جمعها الشكلائي الروسي "فلاديمير بروب"، والتي رأى أنها على العموم تبدأ بعنصر العوز الذي ينتج عنه رحيل الشخصية أو مغادرة البطل، وكذا الشأن في هذه الرواية التي تبدأ بالمغادرة ، والمغادرة لها أشكال وآثار (بروب، ط1-1996، الصفحات ص ص 43-52) وأبطال الرواية في العموم من النازحين والمغتربين ينتقلون بسبب العَوز المادي ، يقول محمد عبد الحليم غنيم : « وهذه الرغبة في الحرص على العمل تؤكد أن المشكلة الحقيقية للشخصيات هي الفقر، فالفقر سبب رئيسي في الغربة ، كما قيل الفقر في الوطن غربة » (غنيم، 2004) وهي كما قلنا رحلة مزدوجة ، رحلة أسرية من زنجبار نحو مسقط ورحلة فردية من القاهرة إلى مسقط.



صالح مفقودة

نحن بإزاء رحلتين إحداهما فردية مؤقتة اختيارية وثانيهما رحلة دائمة مفتوحة لا تعود فيها الفتاة إلى نقطة الانطلاق، فهي هجرة أو نزوح. وينتج عن هاتين الرحلتين تشكل حياة روائية في مسقط هي العالم التخيلي الذي يدعى زوينة، والذي يسمح لنا بتحقيق أمرين:

- **الأول** يتعلق بالجانب السردي، فنحن أمام رواية زوينة، التي وصفناها بأنها اندماج وتقاطع رحلتين كما يفترض أنهما وقعتا سواء أكانت الرحلتان واقعيتين أو مفترضتين، أي ضرب من الخيال، ولدينا الصيغة السردية التي قدم بها الروائي مادته الحكائية وهو ما يسمى بالخطاب الروائي.

- **الثاني** الجانب المعرفي الذي ينتج عن تقاطع الأنساق الحضارية المختلفة، ويقدم لنا الكاتب وصفا لمسقط وللقاهرة من جهة ولزنبار من جهة أخرى فلكلا البطلين ماضيه بكل ما يحمل من أبعاد حضارية.

ثانيا: الاستهلال الروائي ومشهد الوصول إلى مسقط:

المقصود بالاستهلال الروائي الجملة الأولى من العمل أو الفقرة الأولى، وأحيانا يتطلب الأمر توسيع ذلك إلى الباب الأول في الرواية، وفي كل الحالات فإن الاستهلال الروائي مهم، إذ يمثل الافتتاحية التي تجعل القارئ يتعاطى مع النص الروائي ويتفاعل معه يقول ياسين نصر : على الاستهلال الروائي أن يزرع الثويات الصغيرة للأفعال الكبيرة اللاحقة، إنه يشبه مفتاح باب البيت الكبير (نصر، 1986، صفحة 39) والاستهلال الذي افتتح به محمد جبريل رواية زوينة يتوزع بين مسقط والقاهرة، ، إذ يحدثنا الكاتب عن البطل وهو على متن الطائرة التي تهبط بالنزول في مطار مسقط ، لكن بعد فقرة من ثمانية أسطر يتحول للحديث عن القاهرة قبيل السفر، حيث يعيش البطل لحظة فراق الأسرة الأم والإخوة (جبريل، 2004، صفحة 10) ويخصص الفقرة الثالثة في الرواية للفضاءين معاً؛ وجوده في الطائرة ثم يتحول مباشرة إلى وجوده بمصرووصية والده له بضرورة الإسراع، فللطائرة موعد لا ينبغي التخلف عنه (جبريل، 2004، صفحة 11)

هناك إذن منطق فني للسرد الروائي يتقاطع ويختلف عن المبنى الحكائي كما تقدمه الرواية التي يقول عنها محمد عبد الحليم غنيم « يعتمد محمد جبريل في هذه الرواية بناء دائريا في عرض الأحداث، إذ تبدأ الرواية من نقطة ليست هي البداية الحقيقية في المتن الحكائي، فنلتقي

الواقعي والتخييلي في النص السردى والنص الموازي في رواية "زونية" للكاتب محمد جبريل

مع السطر الأول بالراوي وهو في الطائرة وهي تكاد تحط على أرض مطار السيب « (غنيم، 2004) تكتسي لحظة الوصول إلى مسقط حساسية كبرى وشعوراً خاصاً لدى البطل ، فهذه اللحظة تمثل لحظة الاكتشاف الأولى، ولذلك يصفها الكاتب محمد جبريل ببعض التآني ، وهي إنما تكتسب كل تلك الأهمية كونها نقطة التماس بين التّصورات القَبَلية عن المكان المُرتحل إليه، والواقع كما يجده المسافر أو الرّحالة أو البطل الصحفي. لقد « اعتنى النّقاد بمشاهد الوصول وعلى الخصوص ماري بُرايت التي اعتبرتها- مشاهد الوصول- ذات دلالات في النّص الرّحلي عامة، بحيث يبرز اصطدام المُجرد بالملموس» (حليفي، 2003، صفحة 95) ولعل لذلك بدأت رواية زونية بلحظة وصول البطل إلى مسقط.

إنّ نص " زونية" يعد في المنطلق نصاً رَحليّاً، على اعتبار أن نص الرحلة هو الذي يحكي فيه المؤلف أو الكاتب ما شاهده في بلدٍ آخر، ولكن الرحلة هنا ليست من قبيل الأدب الجغرافي، كلّاً وليست تقريراً صحفياً، بل إن الكاتب يرتقي بنصه إلى المستوى السردى التخيلي، فنجد في الرواية تعاقب العناصر السردية من سرد للأحداث ووصف للأمكنة والشخوص. (بوترعة، 2023، الصفحات 185-203)

1- وصف مسقط:

يُسيطر الوصف في الرّواية سيطرةً كبيرة، والوصف هو تحكم في الزمن بالتبتيئ أو التوقيف، ومعلوم أن جيرار جينيت Gérard Genette قد وضع الجدول الآتي لتوضيح العلاقة بين استمرار الحكى واستمرار السرد، وقد استخدم العناصر الآتية : الوقفة الوصفية - المشهد - الخلاصة - الحذف كما هو موضح في الجدول:

صالح مفقودة

1	(الوقفة) Pause: وفيها يكون المجال لزمن السرد Temps de re�ut (TR) على حساب زمن القص أو الحكى Temps d'histoire (TR) في هذه الحالة سيتوقف الحكى ولذلك تُعطى له قيمة 0 في حين نعطي قيمة ن لزمن السرد أي أن زمن السرد أكبر من زمن القص، وتلك هي الوقفة الوصفية، وصيغتها $Pause = TR = N / TH = 0$ $TR > TH$ →
2	المشهد Sc�ne في المشهد نجد توازنا بين السرد والقص، فالرواية تنمو بقدر ماتصف $Sc�ne = TR = TH$
3	الخلاصة Sommaire وفيها يكون المجال لزمن القص (TH) Temps d'histoire على حساب زمن السرد (TR) في هذه الحالة سيتوقف الوصف ويعطى المجال لتوالي الأحداث $Sc�ne = TR = N / TH = N$ → $TR < TH$
4	الحذف Ellipse زمن القص هنا ذو قيمة $(TH) = N$ بينما زمن السرد $(TR) = 0$ $Ellipse = TR = 0 / TH = N$ → $TR < TH$

إنّ الوصف هام في العمل الروائي، وهو يختلف من الرواية التقليدية إلى الرواية الحديثة، فإذا كان في الأولى يوضح بعض العناصر المهمة أُوَيُقَدِّم تعريفاتٍ تمهيدية، فإنه في الرواية الحديثة يخلق المعنى. ويتجاوز أو يتداخل الوصف مع السرد، وقد أعطى جيرار جينيت المثالين الآتيين لبيان التداخل بين المصطلحين: (جينيت، صفحة 76)

1. " المنزل أبيض بسقف من لوح أزرق وبمصراعين أخضرين " .

2. " دنا رجل من المائدة وأخذ سكيناً " .

يمكننا اعتبار المثال الأول وصفا خاليا من التحديد الزماني والحركة، لكن المثال الثاني فيه سرد ووصف، ففيه أحداث: دنا . أخذ، وفيه أسماء: رجل . المائدة . سكين. وهذا

الواقعي والتخييلي في النص السردى والنص الموازي في رواية "زونية" للكاتب محمد جبريل
تداخل بين السرد والوصف يقول "جبرار جينيت" : « إن الأشياء يمكن أن توجد بدون حركة على عكس الحركة التي لا تستطيع أن تكون بدون أشياء » (جينيت، صفحة 76)
السرد لا ينفصل إذن على الوصف، والوصف لا ينفصل عن السرد فهما متداخلان، غير أن وجود أحدهما يبرز أكثر من الآخر مما يسمح لنا بتتبع الوصف أو السرد.

2 - الحرارة في مسقط :

يقول الكاتب عن مسقط: «مسقط سجن أسواره جبال، جبال صخرية، مصمتة . ليس ثمة ما تبدأ منه ، أو تنتهى إليه. تمتص أشعة الشمس، أشعة أنثوية، خصبة، تعكسها على الحياة- بكل صورها - فيرين همود هو أقرب إلى الموت. وتغيب الشمس، فتفتت الجبال مخزونها الصّهدي في تواصل قاس، مؤلم. قال لى الشيخ النبھانى : تسمية مسقط لأنها تسقط بين الجبال أشعر أنى واحد من الذين سقطوا بين جبال مسقط» (جبريل، 2004، صفحة 16) هي منطقة ليلها كنهارها في الحر إذ تحتفظ الحبال الصخرية بالحرارة إلى حين بزوغ الشمس من جديد وهكذا يستمر الحر الذي يُعيق الحركة ، ويجعل الحياة أقرب إلى الموت ، وفي هذ الوسط الجهنمي يجد البطل نفسه مرميا به هناك. ونلاحظ قمة الوصف لأشعة الشمس التي وصفها بالأنثوية الولادة للحرارة القاسية ، ولا أعتقد أن أحدًا وصف شدة ولهيب الحرّ كما فعل محمد جبريل في هذه الرواية، فهو يصف شمس مسقط بقوله : « الشمس تتعكس حرارة قاسية في الأرض والجدران والأشياء السكّنة والمتحركة، وفي الرائحة الخانقة المتصاعدة في الجو، رائحة غريبة تذكرك بالموت، وتطل النافذة على الساحة الترابية ، والأسوار التي تُحيط بها، كأنّها سجن حقيقي، معزول عن العالم الخارجي، دنيا بعيدة، جزيرة معزولة لا صلة لها بأفاق المياه المترامية من حولها» (جبريل، 2004، صفحة 17) فالكاتب يمزج بين الرّتابة والملل وشدة الحر بصورة خرافية وهو في كل مرة يُنوع في وصف لهيب الشمس وحرارتها: «الشمس اللاهية تفرض سطوتها على النّهار، تُحبل كلّ شيءٍ إلى وعاء خُرافي يَشوي من فيه بلسع النّار. الحرارة لا ترتطم بسطح الأرض فقط، تتسلل إلى الباطن، تفتّحه، تدفع الكائنات التحتيّة للخروج إلى السطح» (جبريل، 2004، صفحة 18) الشّمس هنا لا تلقي بأشعتها على الأشياء المقابلة فحسب بل تنفذ إلى أعماق الأشياء لتجعل كلّ شيءٍ مُلتهبًا.

صالح مفقودة

قبل الوصول إلى مسقط، كانت نظرة البطل لهذا المكان ضبابية وإن حدثه عن جبالها المتلاصقة ناصف الغمري الذي كان قد أمضى أربع سنوات هناك، وعندما سأل عن التسمية قال له كفيله النّبھاني الجبال «تُحيط بالمدينة من الشمال والجنوب والغرب، ولأنّها مدينة ساحلية ، فإنّ الجبال تمتد إلى داخل البحر أيضا على شكل فُكَيْن صغيرين جدّ عليهما البرتغاليون قلعتي المراني والجلالي » (جبريل، 2004، صفحة 22) ووصفها له بهجت حسان فقال: «مسقط عبارة عن مجموعة من الأحياء المتناثرة ، تفصل بينها التّلال والروابي، مسقط أقرب – بشوارعها التّرابية وبيوتها الأفقية التّصميم، والشمس اللاهية – إلى الوادي الجديد وسيوة وسيناء، مدينة تنتمي إلى البداوة والصحراء فيما عدا العمارات القليلة المتناثرة في روي والقرم » (جبريل، 2004، صفحة 100)

في معرض وصف مسقط يقدم لنا الكاتب مجموعة من السّجلات الوصفية المتنوعة ، الطبيعية والعمارية ، ومن وجهات نظر مختلفة، الوصف بنظرة مصرية، ثم الوصف بنظرة محلية موضحة تاريخياً، وعن أسواقها يقول الكاتب: «سوق الظلام بمطرح، أشبه بالقيساريات في القاهرة القديمة بعض حاراته تكاد تكفي لعبور ثلاثة أشخاص، ومعظم دكاكينه مُرتفعة عن الأرض، تعلوها أسقف بامتداد الشارع....» (جبريل، 2004، صفحة 110) وإذا كان طارق ابراهيم حسان يرى أنّ الأدباء العرب في كتاباتهم الإبداعية الروائية عن الخليج قد بالغوا في التّعاطي مع السلبيات الاجتماعية وواقع الحياة ، وإنّ تراجع بعضهم عن هذه النّظرة لاحقاً كما هو الحال بالنّسبة للكاتب يحي خلف صاحب رواية نجران تحت الصفر 1977، فقد قال بعد ذلك إنّ نجران اليوم ليست نجران التي عاش فيها في سبعينيات القرن الماضي، إنّ كثيراً من التّطور .شهدته المدينة (حسان، 2023) ومحمد جبريل في مطلع الرواية والأجزاء الأولى منها يكاد يصف مسقط بالجحيم الذي لا يُطاق، فهي أشبه بقطعة من جهنم على وجه الأرض ، حرّ لا يُطاق وشمس ملتهبة، بل إنّ الكاتب يصفها وصفا أسطوريا نموذجيا، ناهيك عن الوحدة القاتلة والتخلف في جميع مناحي الحياة، ولكن الرواية لا تستمر حتى النهاية فسرعان ما تنمو الأحداث وتتبدل الأشياء بتغير نفسية البطل بعد إقامة علاقة بالفتاة زينة التي ملأت عليه وُحْدته وأنست وحثته، فتحول حر المدينة إلى اعتدال، بل وشهدت مسقط رُقيا وتطوراً في مختلف النّواحي. الكاتب إذن لم يسجل موقفاً سلبياً من مسقط ثم يتراجع عنه لاحقاً كما فعل غيره، بل كان التطور داخل المتن الحكائي، خاضعاً لشروط السرد وتطوره، وهو موقف

الواقعي والتخييلي في النص السردى والنص الموازي في رواية "زينة" للكاتب محمد جبريل
فنيّ. وبالرغم من هذه الفنية إلا أن الرواية تضرب بعمق في جذور الواقع، فهي ترتبط بالسيرة الشخصية للكاتب، وهي ترصد بدقة مظاهر الحياة سواء في القاهرة أو في مسقط، وذلك ما يمكن تسميته بالإيهام بالواقع حتّى ليظن القارئ أن الكاتب يصف الأمور وصفا ظاهرا صحفيا، لكنّ نظرة كُلية للرواية تُعطي مرة أخرى الانطباع بأننا أمام عمل فني راق ينطلق من الواقع ويغور في أعماق النفس البشرية، وحتى اللغة الروائية للكاتب تتراوح بين اللهجة المحكية وترتقي إلى اللغة الشاعرية التي تؤنث الرواية.

إن الوصف المُقدم يرجع دوماً إلى مصر لتقريب الوصف وللتوثيق المرجعي، إنّه التقريب من الواقع أو الإيهام الواقعي، وللفت انتباه المُتلقي، وبخاصة إذا كان الوصف مصرياً، ويتحول المرجع إلى زنجبار عندما يكون المُتحدث زينة، وبالرغم من بساطة البلد، والمدينة، فهي تعرف تطوّراً في البناء والتشييد، فقبل سنوات لم تكن بها مظاهر الحضارة، حتّى أنّ الجريدة التي أنشأها البطل السارد، كانت بدءاً تُطبع بالكويت، ثم انتقلت طباعتها إلى مسقط. لكنّ هذه المدينة سنعرّف نهضةً وستتغيّر بظهور زينة على مسرح الأحداث، ولذلك قال الكاتب: « مسقط تكبر، وتتسع ملامحها، تكتمل يوما بعد يوم أو أنّها تكتسب ملامح لم تكن موجودة من قبل » (جبريل، 2004، صفحة 134) يتميز وصف محمد جبريل لمسقط بالدينامية، فهو لا يصف المدينة وصفً ساكناً، بل يصف حركة التّطور التي مست المدينة في مختلف المجالات، وهو وصف يتسم بالتعدد وليس وصفا لبطل واحد بل هناك رؤى متعدّدة، فليس هناك هيمنة سردية في الوصف.

3- وصف البيت :

يصف الكاتب البيت الذي سكنه البطل بمسقط بعد وصوله، يقول: « المبنى مستقلّ في حضن الجبل على النّظام العماني، ساحة تُرابية واسعةٌ مكشوفة، يُحيط بها سور مرتفعٌ من الحجر الأبيض، باب الواجهة يُطل على شارع الحميرية... الباب الجانبي يُطل على بيتٍ مُماثل، عرفتُ أنّ الفتاة تسكن فيه، البيتان في حضن الجبل » (جبريل، 2004، صفحة 16). هذا البيت دلّته عليه زينة الموظفة في شركة طيران الخليج، وهي تسكن قبالتها، يصف البطل ملله ووحدته في هذا البيت المكون من حجرتين جعل إحداهما للنّوم وخصص الأخرى لإعداد مادة الجريدة، وما عدا هذا البيت فهو لم يصف ببيتاً أخرى، عدا بيت كفيhle النبهاني، والذي

صالح مفقودة

وصفه وصفاً خارجياً، لكنّه وصفَ بالتّفصيل صالة الاستقبال، مما يُعطي انطباعاً بأنّ هذا الرّجل المُهاجر يعيش العزلة والوحدة في مجتمع يتصف بعدم الانفتاح على الآخر، على الرّغم من اختلاط الأجناس فيه، وتمازج العادات والتقاليد، لكنه اجتماع غير تفاعلي يقول الكاتب: « بدا لي من الصّعب أن يتعرف الوافد إلى سلوكيات الحياة اليومية ، وما يجري داخل البيوت، المجتمع المفتوح أمام جالياتٍ وافدةٍ كثيرةٍ مغلّ على ناسه ، فلا أحد يطل على ما بالداخل، كانتُ تفصلني عن الجميع مسافة كبيرة، أشعر بالغرابة كأني قطرة زيتٍ ترفض الذوبان في الماء» (جبريل، 2004، صفحة 122)

يصف الكاتب الفضاء المفتوح، يتكلم عن المدينة بجوها القائظ الخانق، ثم يصف الفضاء المغلق من خلال وصف البيت، وكل تلك الأمور تسمح بالنفاذ إلى نفسية البطل لتصوير أزمة الوحدة والانعزال والملل.

4- الشعور بالغرلة والغربة:

كانت رحلة البطل الصّحفي إلى مسقط بدافع تحسين الأحوال المادية، ولم يكن ذا رغبة في هذه الرحلة، وكذا الشأن بالنسبة لأسرته وخطيبته مها. وبمجرد وصوله إلى مطار مسقط، وبعد خمس ساعات من السفر بالطائرة، يجد نفسه في وضعٍ جديد، وضع الموظف الغريب في بلد غير بلده، وأول شعور بهذا كان عندما وقف خطأ في طابور المواطنين في مسقط، فنّبّه أحد المواطنين إلى أنّ هذا ليس طابوره، « نبهني الواقف ورائي

- هذا الكاونتر للمواطنين، وأشار إلى طابور آخر من لابسِي البدلة والجلباب.

- طابورك هناك

عاودني الإحساس بأنّي لم أعد في القاهرة، وأنّي ابتعدت عنها إلى مدينة أخرى، بلد آخر يستقبلني ضيفاً وإدّاً عند كفيل» (جبريل، 2004، صفحة 12) هذا النوع من التمييز ليس الكاتب فقط من شعره، وليست العمالة العربية ، فقط، بل حتّى أبناء البلد الوافدين بالخصوص من زنجبار يشعرون بهذا التمييز، وهذا ما أبحاثُ به بطلّة الرواية زينة للبطل : «صارحتني باستيائها من النظرة المُتعالية التي يُواجهها بها العمانيون من مواليد الوطن الأم ، كأنّها الاستهانة أو الاحتقار. نحن أتينا من زنجبار، فنحن زوج ، والزواج- لا أدري سرّ هذه

الواقعي والتخيلي في النص السردى والنص الموازي في رواية "زونة" للكاتب محمد جبريل
النظرة- جنس أدنى» (جبريل، 2004، صفحة 62) صار البطل يعيش وضعا آخر ومن -
ربما- مصادفات القدر أن تدعوه إحدى العاملات في طيران الخليج إلى الركوب في سيارة
الشركة، ودلته على الشقة التي اتخذها مأوى، فصار يعيش فيها بمفرده، يعاني الأمرين،
ويقضي معظم وقته في العمل مُنعزلاً عن الناس، لا يلبي حتى دعوات الآخرين، يقول عن
هذه الوضعية « لا يبقى في نهاية اليوم إلا أن أذهب مرهقا إلى النوم ، السرير المرتفع
بملاءته الزرقاء المُتسخة ووسادته التي حفر رأسي موضعاً فيها، وبلغ التعبير عن الوحدة
درجة قُصوى حين يقول أضُم الوحدة بين ذراعي، وتغيب الأحلام بالتعب عن نومي العميق»
(جبريل، 2004، صفحة 23).

إن كل ما في البلد يذكره بالغبية ويشعره بالوحدة والملل، ويزيد من ذلك الجو الحار
الخانق المُميت الشمس تعكس حرارة قاسية في الأرض والجدران، والأشياء الساكنة والمتحركة،
وفي الرائحة الخائفة المتصاعدة في الجو، رائحة غريبة تُذكر بالموت. » (جبريل، 2004،
صفحة 19)

وعندما ينتظر الغريب الليل علّ الجو يصير عليلاً يخيب ظنه فليس ليل هذه
المدينة بأمثل كمال يقول امرؤ القيس، « إنّ هذه المدينة ليلها حار كنهارها قدوم الليل ألغى
تصوري بأنّ الجو سيكون أطف، الكُتل الصخرية تمتص أشعة الشمس، أشعة أنثوية خُصبة،
تعكسها على الأبدان والعقول» (جبريل، 2004، صفحة 19) ينتقل الكاتب أو فنقل السارد
إلى التعامل المباشر مع المدينة وجهاً لوجه، فهذه المرة ليس عن طريق إيراد الأقوال بل عن
طريق التعامل المباشر ولحظة الاكتشاف، يصف لنا الكاتب حرّ هذه المدينة بشكل أشبه
بالخرافي، وصف فيه جُدة واكتشاف وحياء وحيوية ، وصف مُذهّل، إنّه وصف يرتمي في
أحضان الطبيعة اللاهبة حيث لا جدوى للتصنع والحضارة ولذلك فإنّ المزوجة الكهربائية لا
تكاد تُجدي نفعا في مثل هذا الظرف العصيب العسير، فلا تعدو تلك الآلة أن تأتي بهواءٍ
ساخن، مما يجعل غلقها أفضل من إبقائها، حيث الطبيعة سيّدة الموقف، وحيث الحرارة تقطع
الأنفاس، فيشعر المرء بأنّه في سجن ، وبأنّه أبعد بكثير من موطنه الأصلي القاهرة

هناك إذن معاناة من خلال وجود البطل في مسقط، الوحدة والغبية وصعوبة العيش،
وهناك خلخلة للزمن، فالرواية تصف مسقط مقارنة بالقاهرة، وهو يقدم المكانين متناقضين،

صالح مفقودة

وحتى أثناء رحلة الطيران يصف شعوره لحظة وصوله مطار القاهرة بأنه يشعر بالرضا والارتياح مقابل الضجر الذي يحسه وهو ينزل بمسقط، ها هو في فقرة واحدة يقارن بين المشهدين، فعن القاهرة يقول: «أفضل العودة إلى القاهرة في غير إجازة الصيف. تضايقي المساحة في المطار التي تخصص للمصريين. يضاعفون أوزان الأمتعة، يفصلون، يسامون، يوافق موظف شركة الطيران في النهاية على زيادة لا يطلبها المغادرون من جنسيات أخرى» (جبريل، 2004، صفحة 32) أما عن مسقط فيقول: «الزمن يتضاعف حين وصولي إلى مسقط. خمس ساعات هي المسافة بين القاهرة ومسقط، لكن الزمن يباعد بيني وبين القاهرة. تبدو بعيدة في الزمان بعدها في المكان، لم تعد مفردات المطار تستلفت نظري، ولم أعد أتأملها... تبدو القاهرة بعيدة بعيدة، وأعاني شعوراً مؤلماً بالغربة» (جبريل، 2004، صفحة 33) الكاتب كما نرى لا يقدم تسلسلاً للأحداث الزوائية كما يفترض أنها تجري في الواقع بل يتتبع حركة النفس أو الحركة الفنية السردية حيث تتم الخلطة الزمنية من حيث التقديم والتأخير، فهو يقدم رحلة وصول مزدوجة إلى مطار القاهرة وإلى مطار مسقط من خلال فقرة واحدة أو فقرتين متجاورتين، ولكنهما متناقضتان، بالرغم من الحرص على الطابع الواقعي، فهو يصور تهالك المصريين على الشراء، ونقل الحقائب. إن المكان الجغرافي هنا يتحول إلى فضاء سردي يتصف بنفسية البطل المسافر.

ثالثاً - بطة الرواية زونية:

زونية هو عنوان الرواية، وهو اسم الفتاة العمانية التي استقبلت البطل المهاجر من القاهرة إلى مسقط، فقد كانت تشغل مضيقاً أرضية، تعيش مع أبيها وأخيها في مسقط، وقد وُلدت بزنبار لكن أسرتها انتقلت إلى مسقط، بعد طرد السكان الأصليين للعرب من زنجبار. تصف الرواية الفتاة زونية بأنها ذات قامة ضئيلة متساقفة، كانت بحكم عملها ترتدي زي المضيفات، وتضع على صدرها شارة طيران الخليج، وكانت ذات بسمة دائمة (جبريل، 2004، صفحة 13) كما يصفها بأنها تلقائية خالية من التصنع: «وجه خال من الأصباغ والألوان، وشعرها الأسود القصير المهوش حول وجهها. لم تكن تستخدم أدوات التجميل ولا مزيلات الشعر، فلا كريمات ولا إزالة لشعر وجهها أو ذراعها أو ساقها، حتى الرغب الأصفر فوق فمها تُهمله» (جبريل، 2004، صفحة 48) وقد حكى زونية للكاتب ذكريات طفولتها

الواقعي والتخييلي في النص السردى والنص الموازي في رواية "زينة" للكاتب محمد جبريل

بزنجبار وحنينها الدائم لمرايح الصبا، كما حكى له عن اعتداءات السكان وطردهم للعرب شرّ طردة. « وُلِدْتُ في زنجبار، وعشت فيها طفولتي. لم أكن أعرفها ، ولا أعرف عمان حتى طردونا إليها..لم أكن أعددت نفسى للرحيل غرباً ..لترك زنجبار ، ولا تصورت نفسى بعيدة عنها » (جبريل، 2004، صفحة 90) الكاتب هنا يتناول جزءاً من تاريخ فئة واسعة من العمانيين المولودين بزنجبار والمهجرين قسراً إلى عمان الفارين بأرواحهم، وقد جعل من الفتاة زينة واحدة ممن ولدوا بهذه الجزيرة، ولكنها لصغر سنها لم تكن تدرك تماماً يومها ما يحدث ، لكن حنينها بقي قائماً لموطن الميلاد ، والعلاقات العائلية بقيت أيضاً، ولكن فاجعة الطرد كانت أليمة، يقول خالد سعد النجار عن هذه الثورة القومية ضد العرب : «كانت مذبة المسلمين من أصول عربية مذبة بشعة بكل المقاييس حيث تم أخذهم بالآلاف إلى مقابر جماعية مجهزة خصيصاً لهم » (النجار، بلا تاريخ) كان بيت زينة مقابلاً للكاتب البطل في الرواية الأمر الذي سيجعلها تأتية ذات يوم تحمل طعاماً قالت إنه نذر بمناسبة شفاء أبيها من المرض، ونظراً لوحدة البطل ، وشعوره بالغيرة فقد أَلَفَ وجود الفتاة وانتظر زيارتها، ثم ما لبث أن شعر بحبه لها أو هو نوع من الرغبة في الإشباع، وذات يوم حاول البطل تقبيل الفتاة وقد شغفته حباً وولهاً لكنّها دفعته بقوة، وكان ذلك سبب القطيعة المؤقتة بين الاثنين : «لم أقرر، ملّت عليها أحتضنها ، وأحاول أن أقبلها. لم أقرر ذلك ، ولا تدبرت نتائجه . بدا الأمر عفويّاً، كأنه وليد ذاته، وليد اللحظة، غير موصول بما سبق، ولا بما بعد.. دفعتني في صدري بآخر ما عندها. أريكني تغيّرها: الوجه الطفولي الجميل حوره الغضب. تبدلت الملامح، واحمر الأنف والأذنان، وتسارعت الأنفاس، والتمعت العينان بالدمع» (جبريل، 2004، صفحة 43) ندم البطل على هذا التصرف، وعاش الاثنان قطيعة مؤقتة ، لكن سرعان ما عادت العلاقة بينهما، لكنها علاقة حذرة من جانب البطل ، وازداد حبه لها وغطت عليه مشاعره، فصار من خلالها يحب زنجبار ويصغي لحكاياتها، وصار يتلفه للقياها، وبدورها كانت تحنّ له، فغطت على مشاعره وأحاسيسه، وتحولت وحدته ووحشته إلى أنس، فكاد أن ينسى الأهل والوطن في سبيلها ، يصف ذلك بصورة شاعرية قائلاً:

«كان إيقاع الشبق يعلو في داخلي، أجاورُ البراءة الظاهرة التي استرحتُ إليها. أدنو منها، وتدنو مني لم يعد ثمة صيفٌ ولا خريفٌ ولا شتاء ولا ربيع. اختلطت الفصول الأربعة في

صالح مفقودة

فصل واحد. أتوق إلى جسدها، وأتصور أنها تتوق إلى جسدي. تتلامس نيران الرغبة، فيشتعل الجسدان. تتبثق المياه من ينابيع الجبل الأخضر، تسري في شرايين الأفلاج الطامئة. نقتحم الغابات، نعلو الجبال، نتسلق النخيل، نتسلل إلى الجزر المسحورة تصطدم الكواكب والنجوم ، ويتطاير جسدانا في الفضاء ذرات صغيرة متناثرة من اللذة» (جبريل، 2004، صفحة 125) غير أنه باقتراب البطلين من بعضهما، وتوطد العلاقة أكثر، وتعبير الفتاة عن حبها للبطل، بل والقيام بنقيبته الأمر الذي رفضته من قبل، هنا تعلن الفتاة عن ارتباطها بخطيبها الوافد من زنجبار إلى مسقط ، والذي عانى من أجل الحصول على الجنسية العمانية رغم أنه عماني الأصل. وبذلك نرى أن الرواية هي تعبير عن النزوح والغربة، فالقاسم المشترك بين معظم أبطالها هو الاغتراب سواء تعلق الأمر بالعمالة الأجنبية الهندية أو الآسيوية عامة، أو العربية، وقد ركز الكاتب على العمالة المصرية، وكان هو خير من يمثلها، وحتى بالنسبة للسكان الأصليين فهم أيضا كذلك، كما هو حال زبينة بطلة الرواية.

رابعا- الرواية والنص الموازي :

عمد الكاتب محمد جبريل إلى اعتماد طريقة فنية في روايته هي جعل البطل الروائي كاتباً لنص روائي موازٍ للنص الأصلي، فهو السارد وهو البطل ، وهو أيضا بصدد كتابة رواية أو الإشارة إلا أنه كذلك ، حيث يشير إلى أنه بدأ الكتابة في القاهرة ، لكن هذه الرواية الموازية ليست سوى إشارات مختصرة تمتد وتتكرر الإشارة لها بضع مرات في الرواية، وقد أثرت استخدام النص الموازي لهذه التقنية السردية المستخدمة، والمصطلح استخدمه محمد بنيس مقابلاً لمصطلح Paratexte (Genette, p. 07) الذي اجترحه جيرار جينيت ، ويطلقه على مختلف العناصر الموجودة على حدود النص داخله أو خارجه (بنيس، 2001، صفحة 77) والنص الموازي يمنح العمل اتساعاً ويجعله متنامياً عبر عملية التضمين والاستشهاد، سواء عبر إحالة نصية مباشرة أو غير مباشرة ، وهذه العملية تكشف لعبة الكتابة كما يذهب إلى ذلك الباحث عمر دالي (دالي، 2024، صفحة 14) وبالرغم من أن مصطلح النص الموازي أطلقه جيرار جينيت وعنى به عناصر مختلفة مثل العناوين الفرعية والحواشي، وصورة الغلاف وغير ذلك من الأمور إلا أنني رأيتُ أن أُدرج هذه التقنية السردية ضمن هذ

الواقعي والتخييلي في النص السردى والنص الموازي في رواية "زينة" للكاتب محمد جبريل

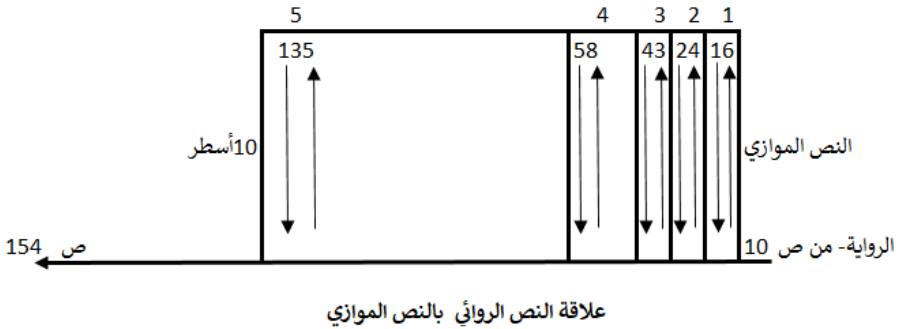
المصطلح، باعتبارها خاصية أسلوبية تفردت بها الرواية، وتقنية تخيلية جمالية تقف وسيطا بين أطراف العملية الإبداعية : الكاتب - السارد - البطل وحتى القارئ.

يقول بدءاً «عُدْتُ إلى الرواية التي كنتُ بدأتُ كتابتها في القاهرة، الصفحات قليلة، والشخصيات تُعاني الشحوب، والأحداث تختلط بلا انسجام » (جبريل، 2004، صفحة 42) هذان السطران يأتیان بين تتالي السرد، لتتوقف الإشارة إلى هذا النص ولا يتحدث عنها إلا بعد مضي عدة صفحات لنجد الكاتب يقول : «كان الشاب - في الرواية التي بدأتُ في كتابتها- قد استجمع شجاعته، وصارح فتاته بحبه لها. استعصت الكلمات بعد ذلك » (جبريل، 2004، صفحة 24) ثم في الصفحة 43 يعود فيقول : «عُدْتُ إلى ماكنتُ كُتبتُه في روايتي التي لم أتمها .. لاحظتُ أنَّ البطل شغلته اللحظة، فأهمل توقعات المستقبل. أزمعتُ أن أضيف إلى الشخصية ما يبيِّن عن باعث الأزمة والتصرفات» (جبريل، 2004، صفحة 43) هذه المرة ، يشير إلى هذا النص الموازي عقب مآدار بين البطل وبين زينة، وكيف أغرته بمحاولة تقبيلها، فصدته بقوة ، وهنا يورد النص الموازي في سطرين ليواصل السرد بقوله عنه وعن زينة : «لم تعدُ تسلم ولا أسلم » (جبريل، 2004، صفحة 43)

وبذلك يتبين بجلاء أن هذا النص الموازي ليس إلا خلقاً فنياً هو بمثابة محطات قصيرة، تخضع للسياق العام لمنطق السرد، أو فلنقل تمده بنفس آخر في نفس السياق، ومن هنا مسوغ إطلاق لفظ النص الموازي على هذه الرواية التي لم تُكتمل وما كان لها، فما هي إلا جزء من قفرتُ إلى ذهني - لا «النص المكتوب زينة. ها هو مرة أخرى يشير إلى هذا النص بقوله : أدري لماذا- صورة بطل روايتي التي لم أتمها، بدا وحيداً ومحاصراً. أزمعتُ أن أوفر وقتاً- (جبريل، 2004، صفحة 58) هناك تواز « وسط انشغالي - استكمل فيه روايتي الناقصة بين البطل السارد في الرواية والبطل المشار إليه في الرواية التي لم تُكتمل والتي بدأ الكاتب كتابتها في القاهرة والتي ليست سوى رواية البطل نفسه التي نقرأها والتي تُدعى زينة، لكنه يشير إليها من جانب آخر، وفي إشارة أخرى وأخيرة إلى هذه الرواية المفترضة هذا النص عدت إلى كتابة الرواية التي تركت القاهرة قبل أن أتمها تبذلت - وأنا «الموازي يقول الكاتب: أكتب - شخصية البطل. لم يعدْ ذلك السّاخِط، النّاقم، المتطلع إلى ما لا يستطيع تبين ملامحه

صالح مفقودة

(جبريل، 2004، صفحة 58) بهذا يتم صرف النظر عن هذه الرواية التي أدت وظيفتها « كنقاط ارتكاز للرواية الأم ونلاحظ أن بطل النص الموازي تغير فأصبح غير ناظم على الوضع، وهو الموقف نفسه للبطل المصري الوافد إلى مسقط فبعد إقامة علاقة المودة والتعارف والمحبة مع زوينة يتبدل مزاجه ويصير راضيا عن مسقط بجوها وحرارتها ، وكذلك حال البطل الموازي، ومن هنا نكون أمام بطل الرواية الموازية وبطل رواية زوينة وشخصية الكاتب محمد جبريل باعتباره الكاتب المصري الصحفي المهاجر ذات زمن إلى مسقط.



يوضح الرسم السابق العلاقة بين المتن الروائي والنص الموازي، فالرواية تمتد من الصفحة 10 إلى الصفحة 154، وهي متتالية سردية لا تركز على الزمن بقدر ما تركز على الوصف، أما النص الموازي أو الرواية التي تشير لها الرواية، فلا تشغل حيزا كبيرا، إذ تشير لها الرواية خمس مرات في الصفحات 16 و 24 و 43 و 58 و 135، وفي كل إشارة إلى هذا النص الموازي لا يستغرق الأمر سوى سطرين، وهذا ما يشير إليه السهم الصاعد والسهم النازل ليبلغ حجم النص الموازي 10 أسطر. وهو حجم فقرة من الرواية، موزعة على امتداد الرواية لتكون بمثابة نقاط ارتكاز للرواية الأم ونلاحظ أن بطل النص الموازي تغير فأصبح غير ناظم على الوضع، وهو الموقف نفسه للبطل المصري الوافد إلى مسقط فبعد إقامة علاقة المودة والتعارف والمحبة مع زوينة يتبدل مزاجه ويصير راضيا عن مسقط بجوها وحرارتها، وكذلك حال البطل الموازي، ومن هنا نكون أمام بطل الرواية الموازية وبطل رواية زوينة

الواقعي والتخييلي في النص السردى والنص الموازي في رواية "زونية" للكاتب محمد جبريل
وشخصية الكاتب مجمد جبريل باعتباره الكاتب المصري الصحفي المهاجر ذات زمن إلى مسقط.

-خاتمة:

بدا لنا من خلال عناصر المقال أن رواية زونية للكاتب المصري نص روائي ينتمي أساسا إلى فن الرحلة بما يتخلله من سيرة ذاتية، إذ أن جل أبطال الرواية وافدون على مسقط إما بصورة اختيارية كما هو حال البطل السارد الذي يمثل فئة من العمالة المصرية في الخليج، أو يتعلق الأمر بالترحيل القسري كما هو الحال بالنسبة لبطل الرواية زونية وأسرته، والتي بدورها تمثل شريحة من أبناء عمان النازحين من زنجبار.

في الرواية تصوير لجوانب جغرافية واجتماعية وثقافية لمسقط، مع التركيز بصورة خاصة على جزارتها القاتلة وجوها الخانق مما يمهّد لتصوير حالة الغربة والانعزال لبطل الرواية، لكن هذه الأوضاع سرعان ما تتغير بتغير نفسية البطل إثر دخوله في علاقة عاطفية مع البطلة الأمر الذي يحيل مسقط إلى جنة فيحاء، ومن ثمة فإن الرواية ترتقي نحو الجانب الجمالي التخيلي، ولا تكتفي بمجرد التسجيل، وقد دعم الكاتب عمله بما يسمى بتقنية النص الموازي الذي أضاف للرواية بعدا جماليا باعتباره تقنية سردية غاية في الأهمية.

-المراجع:

- 1- Genette, G. (s.d.). *Seuil*. Paris: Seuil, coll, poétique.
2. النجار، خ. س. (s.d.). *تاريخ الإرهاب الدولي، مذبحه زنجبار 1*، صيد الفوائد . Consulté le 07 21, 2024, sur <http://saaaid.org/Doat/alnaggar/92.htm>.
3. بروب، ف. ط. (1996-1). *مورفولوجيا القصة*، ترجمة د. عبد الكريم حسن، ودسميرة بن عمو. دمشق: شراع للدراسات والنشر والتوزيع.
4. بوترعة، ع. أ. (2023, 04). *النص الرحلي والأبعاد السردية*. *المجلة العربية للأبحاث والدراسات في العلوم الإنسانية والاجتماعية، المركز الجامعي النعامة*.
5. جبريل، م. (2004). *زونية*. القاهرة: دار النيل للنشر والطبع والتوزيع، القاهرة.
6. جينيت، ج. (s.d.). *حدود السرد*، تر: بن عيسى بوحاملة، طرائق تحليل السرد الأدبي دراسات.
7. حسان، ط. (2023). *مارس*. (29) *كشف المسكوت عنه أم مبالغة في السلبيات؟... الخليج في الرواية العربية*، رصيف 22، ثقافة . Consulté le 07 21, 2024, sur <https://raseef22.net/article/1092578->

صالح مفقودة

8. حليفي، ش. (2003). *الرحلة في الأدب العربي، التجني، آليات الكتابة، خطاب المُتخيل*. دار القرويين، الدار البيضاء المغرب.
9. دالي، ع. (2024). *آليات اشتغال النص الموازي في روايات واسيني الأعرج، أطروحة دكتوراه* (إشراف الأستاذة نبيلة زويش، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب واللغات، تيزي وزو، الجزائر).
10. غنيم، م. ع. (2004). *زويقة وأدب الغربية في الرواية العربية*. منتدى الكتاب العربي . Consulté le 07 19, 2024, sur <https://www.arabworldbooks.com/ar/e-zine/>
11. محمد بنيس. (2001). *الشعر العربي الحديث، بنياته وإبدالاتها 1- التقليدية*. الدار البيضاء، المغرب: دار توبقال للنشر، الدار البيضاء المغرب، ط2.
12. نصر، ي. (1986, 10 01). *الاستهلال الروائي، ديناميكية البدايات في النص الروائي الأفلام*، ص.39.